أثر
Atar الأسبوعية
العدد (4)، الخميس، 2 نوفمبر 2023م

# في الأبيّض: العطش في زمن الحرب

إسماعيل حسابو (الأبيّض)

على مدى ستة أشهر، دأب المعلّم حامد محمدين، على الخروج مع شروق الشمس ليقف عند ناصية الشارع، بحثاً عن الماء، وحين يستوقف إحدى عربات (الكارّو)، ورغم عدم صرف راتبه لخمسة أشهر، عليه أن يدفع ما بين 2.500 إلى 3.000 جنيه يومياً مقابل البرميل الواحد من المياه ذات الطعم المالح.

يتقاسم المعلم حامد محمدين، هذا المشهد الصباحي مع غالبية سكان مدينة الأبيض، عاصمة ولاية شمال كردفان، الذين يستيقظون كل صباح على قرعات عربات (الكارّو) التي تجرها الحمير، وأصوات تناكر المياه التي تنهب شوارع المدينة الرملية، وتصبح معها مياه الشرب هي العنوان الأبرز في مجالس السكان الذين يرسلون تساؤلات عن حقهم في خدمات مياه مستدامة وصالحة للشرب، دون أن يجدوا ردوداً أو حتى وعوداً من مسؤول.

فضلاً عن انقطاع التيار الكهربائي لأسابيع أحياناً، والتدهور في القطاع الصحي، تُشكّل أزمة المياه بمدينة الأبيض، أحد أكبر المدن السودانية، الهمَّ الكبيرَ الذي يمسك بتلابيب مواطني المدينة، الذين يضطرون أحياناً لاستخدام مياه غير نقية وغير صالحة للشرب، وفقاً لمختصين.

**قبل الحرب**

تعتمد ولاية شمال كردفان على مياه الأمطار والمياه الجوفية بالدرجة الأولى، ولقد تأثر بشكل كبير بموجات الجفاف، وأخطرها 1984. العاصمة الأبيض ليست استثناء، إذ تعتمد في إمدادها المائي على مصادر تقع جنوب المدينة وأخرى في شمالها. وتشمل المصادر الجنوبية خزانات ود البقا وبقرة والعين وبنو بجانب حفائر. أما المصادر الشمالية، فتشمل حوض أم سدر الذي يتغذى من مياه حوض بارا الجوفي. وتخزن هذه المصادر في مجملها نحو 20 مليون متر مكعب.

ظلت أزمة المياه متلازمة تعاني منها مدينة الأبيض لعقود طويلة. وفي العام 2000م افتُتح مشروع آبار حوض بارا الجوفي الذي أشارت الدراسات إلى أنه سيكون حلاً جذرياً لمشكلة مياه المدينة والمناطق الواقعة على طريق باراً الأبيض، ويبعد عن الأخيرة بنحو 50 كيلومتراً، لكن جاء الواقع معكوساً، فبعدما كانت تشمل الخطة حفر ما يزيد عن 40 بئراً، تم تنفيذ 18 منها يعمل منها فعلياً عدد قليل من الآبار. ولم تفلح حزمة مبادرات أُطلقت، بما فيها توصيل مياه النيل الأبيض لمعالجة العطش بالمدينة، لكنها فشلت جميعاً.

**حوض بارا الجوفي:** حوض بارا الجوفي هو حوض مائي في شمال كردفان في السودان، يمتد تحت الأرض على مساحة شاسعة ويمثل واحداً من أكبر مصادر للمياه العذبة في البلاد. يُعتقد أنه قد تشكّل منذ ملايين السنين، عندما كانت المنطقة مغطاة بالبحيرات والأنهار؛ ومع انخفاض مستوى سطح البحر، تسرب الماء إلى الأرض وتراكم في طبقات المياه الجوفية. وهو يُعد الآن مصدراً مهماً للمياه للسكان والمزارعين في المنطقة، إذ يوفر المياه للشرب والري والزراعة وسقاية الماشية، من خلال حفر الآبار الجوفية للوصول إلى المياه التي تتباين عمقاً، إذ يرتكز على عدد من طبقات المياه الجوفية التي تخزن مقداراً كبيراً من المياه مع تباين في جودتها، كما تُعاني بعض المناطق من ملوحة عالية.

برزت الحرب الدائرة بين الجيش وقوات الدعم السريع منذ 15 أبريل الماضي، كأحد أهم الأسباب التي عمقت أزمة المياه، فالمدينة تعيش بلا مياه منذ اندلاع الحرب بسبب سيطرة قوات الدعم السريع على بعض المصادر وفقاً لمصدر مسؤول لـ «**أتـر**»، وأضاف قائلاً: «بجانب الأوضاع الأمنية، فإن الأسباب الأخرى لأزمة مياه المدينة الحالية تتمثل في عمليات النهب والتخريب المتكررة، حيث تتعرض مخازن الشبكات والمعالجة الخاصة بالمحطات للسرقات المتكررة. ومع ذلك، تكمن المشكلة في عدم استقرار التيار الكهربي».

تسببت الأعطال الفنية المتكررة في محطة أم دباكر بولاية النيل الأبيض، في انقطاع الكهرباء في الأبيض. وامتد تأثير هذه الانقطاعات المتكررة على إمدادات المياه من المصادر الشمالية للمدينة.

مع ذلك، فإن الأزمة قديمة متجددة؛ فقد ارتبط اسم مدينة الأبيض بالعطش منذ أمد ليس بقريب. وفي الشهر الذي سبق الحرب الجارية، عانت نصف أحياء المدينة من انقطاع دام أكثر من عشرين يوماً لمياه الشرب. وعلى إثره خرج مواطنو الأبيض في تظاهرات ليلية يوم 11 أبريل، «ترّسوا» فيها شوارع المدينة، وأحرقوا الإطارات احتجاجاً على أزمة مياه الشرب، حيث تجاوز سعر برميل الماء أكثر من 1300 جنيه قبل اندلاع الحرب. وكان الوالي المكلف، فضل الله التوم، قد أكد حينها ضرورة صيانة وإصلاح المحركات والأنابيب المعطلة، رغم تصريحه السابق إن المياه التي دخلت إلى المصادر تكفي حاجة مدينة الأبيض حتى حلول الخريف التالي.

يرى عضو لجان المياه بالأحياء الغربية لمدينة الأبيض، جلال جابر، أن أسباب الأزمة لا تقتصر على الجانب الأمني فقط، فهناك مشكلات متعددة بجانب المشكل الأمني، مشيراً إلى عدم توصيل الشبكة القومية إلى المحطات التي تستخدم مولدات. وقال: «قبل اندلاع الحرب هناك جزء من المدينة كانت تصله المياه بصورة طبيعية، بينما هناك أجزاء كالأحياء الواقعة غرب المدينة لم تصلها المياه لسنين عدداً على الرغم من توصيل الشبكة»، وأضاف قائلاً: «أحياناً تصلهم المياه لمرتين في العام، وخلال موسم هذا الخريف لم ينعموا بها ولا ليوم واحد». كذلك يشير جابر إلى عدم وصول المياه إلى عدد من الأحياء لوجود تلاعب في تركيب بعض الخطوط، فضلاً عن قدم الشبكة في بعض المناطق.

يبلغ تعداد سكان مدينة الأبيض 800 ألف نسمة. وتحوز حاضرة كردفان على موقع استراتيجي مهم بتوسطها ولايات البلاد، وكونها تبعد عن العاصمة الخرطوم نحو 600 كيلومتر؛ كما تمثل مركزاً تجارياً واقتصادياً مهماً، حيث تحتضن واحداً من أكبر أسواق المحصولات والصمغ العربي على مستوى العالم. ومع ذلك تعاني المدينة من أزمة مياه كارثية، ترى تجلياتها في انتشار عربات (الكارو) والتناكر ذات الحمولات الكبيرة التي جرى تغيير أغراضها من نقل الوقود إلى نقل المياه، وهي تجوب الشوارع، بجانب ما يتعارف عليه السكان بـ(القِرَب) وهي مواعين ذات سعات كبيرة مصنوعة من المشمع المقوى، تُملأ بواسطة التناكر لتصبح مصدراً للمياه بالنسبة لعربات (الكارو).

إضافة إلى ذلك، اضطر غالبية السكان إلى صنع خزانات إسمنتية لتخزين المياه، كما أقدم بعضهم على الاستفادة من فصل الخريف بحصاد المياه المتدفقة من أسطح منازلهم المصنوعة من الزنك. ومع بدء سقوط الأمطار يعمد البعض إلى وضع أواني تحت الأسقف بجانب تركيب (سبلوقات) لتجميع المياه، إلا أن مختصين حذروا كثيراً من عدم صلاحية هذه المياه ما لم تتعرض للمعالجة والتنقية.

يشكو سكان الأبيض من ارتفاع أسعار المياه، حيث بلغ البرميل الواحد ما بين 2.500 إلى 3.000 جنيه (3 دولارات بعد التضخم الأخير). ويضطرون لشراء مياه غير صالحة مالحة الطعم، ويصبون جام انتقاداتهم على أصحاب التناكر. لكن عبد الله وهو صاحب تانكر يسرد لـ «**أتَـر**» المعاناة التي يتعرضون لها في سبيل جلب المياه من بعض الدَّوَانْكي (الصهاريج) القريبة، موضحاً أنهم يدفعون رسوماً لقوات الدعم السريع بمعدل يصل 20.000 جنيه للمشوار الواحد.

عند حديثه إلى «**أتَـر**»، أكد مصدر مسؤول وجود مساعٍ جارية لمعالجة أزمة المياه؛ لكن عضو لجان المياه بالأحياء الغربية للمدينة جلال جابر، جزم بعدم وجود أي تدخل حكومي أو جهود حالياً لحل المشكلة بصورة رسمية، مشيراً إلى أنهم طرحوا مبادرات للمعالجة منها استخدام الطاقة الشمسية بمحطات المعالجة، لا سيما في المصادر الشمالية لحل مشكلة الكهرباء.

لكن بحسب عاملين بالمحطة الرئيسة للمعالجة جنوب المدينة، فإن المحطة خضعت للصيانة، وهي الآن باتت جاهزة للضخ، غير أن قوات الدعم السريع التي تسيطر على المنطقة، تنتظر لقاءً يجمعها بالإدارات الأهلية لمعالجة الأمر، وسبق لهذه الإدارات أن نجحت بعد توسطها في إعادة خدمة الكهرباء، غير أن بعض قيادات الإدارة الأهلية عقدت مؤتمراً بالأبيض مؤخراً، وأعلنت وقوفها إلى جانب القوات المسلحة في الحرب الدائرة، وهو ما يُبعد احتمال توسطها في قضية المياه مما يرشح الأزمة للاستمرار.

تسبب اشتباك الجيش والدعم السريع في ولاية شمال كردفان، في إغلاق الطريق من أم درمان إلى بارا، الذي تستخدمه قوات الدعم السريع كطريق للتهريب والإمداد داخل الخرطوم وخارجها. وفي أواخر يوليو، أعلن الجيش أنه سيقصف كل مركبة على هذا الطريق. ومنذ بداية الحرب في منتصف أبريل الماضي، تحاصر قوات الدعم

السريع مدينة الأبيض، مما تسبب في تفاقم الأثر المدني للحرب. ووضعت قوات الدعم السريع نقاط تفتيش وحواجز طرق على طول الطرق الرئيسة، مما يُقيّد وصول وحركة الأشخاص والسلع الأساسية، كما أدى القصف العنيف وأنشطة المدفعية إلى تدمير البنية التحتية الحيوية.

# أثر
# Atar
# السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز **سودان فاكتس** للصحافة

FACTSD
FACTS CENTER FOR JOURNALISM

نعمل على السودان،
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

للانضمام إلى شبكة مراسلي أثَـر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
correspondent@sudanfacts.org

@atarnetwork